

معاني الكلمات :

حمره مستنفرة: حمر وحشية، شديدة النفار .

قسورة : أسد ، أو الرماة القنص .

بنانه : أطراف أصابعه .

ليفجر أمامه : ليدوم على فجوره مده عمره .

برق البصر : دهش وتعجب فرعا .

خسف القمر : ذهب ضوؤه .

بصيرة : حجة بينة أو عين بصيرة .

ألقى معاذيره : جاء بكل عذر .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - أن نعلم أن الله وحده عالم الغيب، فلا أحد يعلم جنوده، وأعداد ملائكته وقوتهم إلا هو .

٢ - أن نتعرف على طرف من علامات القيامة .

٣ - أن نعلم أن الإنسان مسؤول عما وقع منه ، ولن تقبل الأعداء يوم الحساب .

المحتوى التربوي :

يعقب السياق على الموقف السيئ المهيمن بقطع كل أمل في تعديل هذا المصير ، فقد قضى الأمر وحق القول ، وتقرر المصير الذي يليق بالمجرمين المعترفين ، وليس هناك من يشفع للمجرمين أصلا ، وحتى على فرض مالا وجود له فما تنفعهم شفاعة الشافعين ، ويعود بهم السياق إلى ما كانوا عليه في الدنيا ويرسم لهم صورة مضحكة تثير السخرية والعجب من أمرهم الغريب ، فمشهد حمر الوحش وهي مستنفرة تفر في كل اتجاه ، حين تسمع زئير الأسد وتحشاه ، وهو مشهد تعرفه العرب ، مضحك أشد الضحك حين يشبه به الآدميون ، حين يخافون كانوا إنها ينفرون هذا النفار الذي يتحولون من آدميين إلى حمر لا لأنهم خائفون مهددون ، بل لأن مذكرا يذكرهم برهبهم وبمصيرهم .

تلك هيئتهم الخارجية ، ثم لا يدعهم حتى يرسم نفوسهم من الداخل ، فالحسد للنبي ﷺ أن يختاره الله ويوحى إليه ، والرغبة الملحة أن ينال كل منهم هذه المنزلة ، وأن يوفى صحفا تنشر على الناس وتعلن ، وعدم خوفهم من الآخرة هو الذى ينأى بهم عن التذكرة ، وينفرهم من الدعوة هذه النفرة ، ولو استشعرت قلوبهم حقيقة الآخرة لكان لهم شأن غير هذا الشأن المريب ، ثم يردعهم مرة أخرى وهو يلقي إليهم بالكلمة الأخيرة ، ويدعهم لما يختارون لأنفسهم من طريق ومصير ، وهذا القرآن الذى يعرضون عن سماعه ، وينفرون كالحمر ، وهم يضمرون فى أنفسهم الجسد لمحمد ﷺ والاستهتار بالآخرة ، إنه تذكرة تنبه وتذكر ، فمن شاء فليذكر ، ومن لم يشأ فهو وشأنه .

وبعد أن بيئت مشيئتهم فى اختيار الطريق يعقب بطلاقة المشيئة الإلهية ، فكل ما يقع فى هذا الوجود ، مشدود إلى المشيئة الكبرى يمضى فى اتجاهها وفى داخل مجالها ، والذكر توفيق من الله يسره لمن يعلم من حقيقة نفسه أنه يستحق التوفيق ، والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقبلها كيف يشاء ، فإذا علم من العبد صدق النية وجهه إلى الطاعات ، والعبد لا يعرف ماذا يشاء الله به ، ولكنه يعرف ماذا يريد الله منه ، فهذا مما بينه له ، فإذا صدقت نيته فى النهوض بها كلف أعانه الله ووجهه وفق مشيئته الطليقة ، وهم لا يصادمون بمشيئتهم مشيئة الله ، ولا يتحركون فى اتجاه ؛ إلا بإرادة من الله ، تقدرهم على الحركة والاتجاه ، والله هو أهل أن يخاف منه ، وهو أهل أن يغفر ذنب من تاب إليه وأناب .

سورة القيامة

تبدأ السورة بقسمين لا تجيب عليهما ؛ لأن الجواب مفهوم من سياق السورة ، وهذا التلويح بالقسم مع العدول عنه أوقع فى الحس من القسم المباشر ، وحقيقة القيامة سيرد عنها الكثير فى مواضعه فى السورة ، وأما النفس اللوامة فهى نفس المؤمن ، فعن الحسن البصرى : إن المؤمن والله ما تراه إلا يلوم نفسه : ماذا أردت بكلمتى ؟ ماذا أردت بأكلتى ؟ ماذا أردت بحديث نفسى ؟ وإن الفاجر يمضى قدما ما يعاقب نفسه .

وقد كانت المشكلة الشعورية عند المشركين هى صعوبة تصورهم لجمع العظام البالية الذاهبة فى التراب لإعادة بعث الإنسان حيا ، والقرآن يرد على هذا الحسبان بعدم جمع العظام مؤكداً وقوعه والنص يؤكد عملية جمع العظام بما هو أرقى من مجرد جمعها وهو تسوية البنان وتركيبه فى موضعه كما كان ، وهى كناية عن إعادة التكوين الإنسانى بأدق ما فيه ، ويكشف عن العلة النفسية فى هذا الحسبان ، وتوقع عدم جمع العظام ، فهذا الإنسان يريد أن يفجر ويمضى قدما فى الفجور ، ولا يريد أن يصد شئ عن فجوره ، ولا أن يكون هناك حساب عليه وعقاب ، ومن ثم فهو يستبعد وقوع البعث ، ويستبعد مجيء يوم القيامة .

ومن ثم كان الجواب على التهكم بيوم القيامة واستبعاد موعدها سريعاً خاطفاً حاسماً ليس فيه تريث ولا إبطاء ، وكان مشهداً من مشاهد القيامة تشترك فيه الحواس والمشاعر الإنسانية ، والمشاهد الكونية ؛ فالبحر يخطف ويتقلب سريعاً سريعاً تقلب البرق وخطفه ، والقمر يخسف ويطمس نوره ، والشمس تقترن بالقمر بعد افتراق ويختل نظامها الفلكي المعهود ، وفي وسط هذا الذعر والانقلاب يتساءل الإنسان المرعوب : أين المفر ؟ ويدو في سؤاله الارتياح والفرح ، وكأنها ينظر في كل اتجاه ، فإذا هو مسدود دونه مأخوذ عليه ، ولا ملجأ ولا وقاية ولا مفر من قهر الله وأخذه ، والرجعة إليه ، والمستقر عنده ولا مستقر غيره .

وما كان يرغب فيه الإنسان من المضي في الفجور بلا حساب ولا جزاء لن يكون يومئذ ، بل سيكون كل ما كسبه محسوباً وسيذكر به إن كان نسيه ويؤخذ به بعد أن يذكره ويراه حاضراً بما قدمه من عمل قبل وفاته ، وبما أخره وراءه من آثار هذا العمل خيراً كان أو شراً ، فمن الأعمال ما يخلف وراءه آثاراً تضاف لصاحبها في ختام الحساب ، ومهما اعتذر الإنسان بشتى المعاذير عما وقع منه ، فلن يقبل منها عذر ؛ لأن نفسه موكولة إليه ، وهو موكل بها ، وعليه أن يهديها إلى الخير ويقودها ، فإذا انتهى بها إلى الشر فهو مكلف بها وحجة عليها ، وكذلك عملية الحساب يخبر الإنسان بجميع أعماله قديمها وحديثها ، أولها وآخرها ، صغيرها وكبيرها .

ثم تحيى الآيات الأربع الخاصة بتوجيه الرسول ﷺ في شأن الوحي وتلقى هذا القرآن إذا كان الرسول ﷺ يخاف أن ينسى شيئاً ما يوحى إليه ، فكان حرصه على التعوذ من النسيان يدفعه إلى استذكار الوحي فقرة فقرة في أثناء تلقيه ، وتحريك لسانه به ، ليستوثق من حفظه ، فجاءه هذا التعليم ليطمئنه إلى أن أمر هذا الوحي وحفظ هذا القرآن وجمعه وبيان مقاصده كل أولئك موكول إلى صاحبه ودوره هو ، هو التلقى والبلاغ ، فليطمئن بالا وليتلق الوحي كاملاً فيجده في صدره منقوشاً ثابتاً ، والإيماء الذى تركه في النفس هو تكفل الله المطلق بشأن هذا القرآن . وحيا وحفظاً وجمعاً وبياناً ، وإسناده إليه سبحانه وتعالى بكلية ، ليس للرسول ﷺ من أمره إلا حمله وتبليغه .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

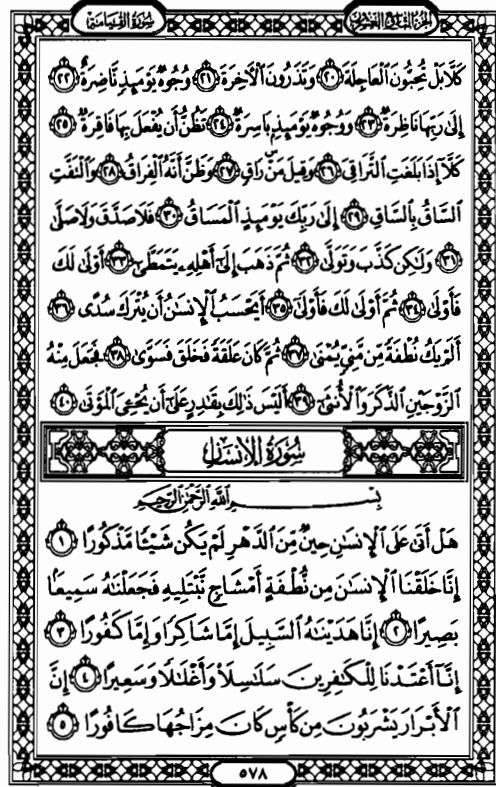
١ - الذكر توفيق من الله يسره لمن يعلم من حقيقة نفسه أنه يستحق التوفيق .

٢ - القيامة حق ، وعندما تقوم سيصاب الناس بشدة الفرع ، بل يكون الإنسان على نفسها شاهداً .

٣ - على الإنسان أن يهدي نفسه إلى الخير ويقودها ، فإذا انتهى بها إلى الشر فهو مكلف بها وحجة عليها .

معاني الكلمات :

- ناصرة : حسنة مشرقة متهللة .
 باسرة : كالحة عابسة .
 فاقرة : داهية تقسم فقار الظهر .
 التراقي : أعالي الصدر .
 التفت : التصقت .
 أمشاج : أخلاط ممتزجة متباينة الصفات .
 نبتليه : نخبره .
 مزاجها : ما تمزج الكأس به وتخلط .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن نستشعر حالة الإنسان قرب الموت في ساعات الاحتضار .
- ٢ - أن نعلم أن تقدير الله في نشأة الإنسان على أساس الابتلاء .
- ٣ - أن نعلم عاقبة الكفر ، وسوء مصير الكافر .

المحتوى التربوي :

يمضي السياق في عرض مشاهد القيامة ، وما يكون فيها من شأن النفس اللوامة ، فيذكرهم بحقيقة نفوس وما يعتلج فيها من حب للدنيا وانشغال ، ومن إهمال للآخرة وقلة احتفال ، ويواجههم بموقفهم في الآخرة بعد هذا وما ينتهي إليه حالهم فيها ، وأول ما يلحظ تسمية الدنيا بالعاجلة فضلا عن إجماع اللفظ بقصر هذه الحياة وسرعة انقضائها ، ويشير النص إلى حالة تعجز الكلمات عن تصويرها كما يعجز الإدراك عن تصورها بكل حقيقتها ، ذلك حين بعد الموعودين السعداء بحالة من السعادة لا تشبها حالة ، حتى لتضاءل إلى جوارها الجنة بكل ما فيها من ألوان النعيم .

هذه الوجوه الناضرة ، نضرها أنها إلى ربها ناظرة ، إلى ربها ! فأى مستوى من الرفعة هذا ؟ أى مستوى من السعادة ؟ إن روح الإنسان لتستمتع أحيانا بلمحة من جمال الإبداع الإلهى فى الكون أو النفس ، تراها فى الليلة القمراء أو الليل الساجى أو الفجر الوليد ، أو الظل المديد ، أو الإيمان الوائق ، أو الصبر الجميل ؛ فتغمرها النشوة ، وتفيض بالسعادة ، وترف بأجنحة من نور فى عوامل مجنحة طليقة ، وتتوارى عنها أشواك الحياة ، وما فيها من ألم وقبح ، وصراع شهوات وأهواء ، فكيف ؟ كيف بها وهى تنظره لا إلى جمال صنع الله ، ولكن إلى جمال ذات الله ؟ ألا إنه مقام يحتاج أولاً إلى مدد من الله ، ويحتاج ثانياً إلى تثبيت من الله ؛ ليملك الإنسان نفسه فيثبت ليستمتع بالسعادة التى لا يحيط بها وصف ولا يتصور حقيقتها إدراك ؛ والوجوه حسنة بهية مشرقة مسرورة وهى إلى جمال ربها تنظر .

أما وجوه الفجار فهى وجوه كالحة متقبضة تعيسة ، محجوبة عن النظر والتطلع بخطابها وانطماستها ، وهى التى يشغلها ويجزئها ويخلع عليها الكلوحة توقعها أن تحل بها الكارثة القاصمة للظهر المحطمة للفقار ، ويذكر السياق مشهد الموت ، الموت الذى ينتهى إليه كل حى ، والذى لا يدفعه عن نفسه ولا عن غيره حى ، الموت الذى يفرق الأحبة ويمضى هى طريقه لا يتوقف ، ولا يتلفت لصرخة ملهوف ، ولا لحسرة مفارق ، ولا لرغبة راغب ولا لخوف خائف ، وحين تبلغ الروح التراقى يكون النزع الأخير ، وتلوى المكروب من السكرات والنزع ، ويتلفت الحاضرون حول المحتضر يتلمسون حيلة أو وسيلة لاستنفاذ الروح المكروب ، وقيل : هل من راق يرقى ، أو طيب يشفى ؟ وتعجز كل وسيلة ، ويتبين الطريق الواحد الذى يساق إليه كل حى فى نهاية المطاف وأن إلى ربك المرجع والمآب .

وفى مواجهة المشهد المكروب يأتى الإخبار عن الكافر الذى كان فى الدار الدنيا مكذبا للحق بقلبه ، متوليا عن العمل بقلبه ، فلا خير فيه باطنا ولا ظاهراً ، ولا همه له ولا عمل ، ويتفنن فى الصد عن سبيل الله ، والأذى للدعاة ، ويمكر مكر السيئ ، ويتولى وهو فخور بما أوقع من الشر والسوء ، وبما أفسد فى الأرض ، وبما صد عن سبيل الله ، ويأتى التهديد والوعيد الأكيد من الله - تعالى - للكافر به المبخر فى مشية ، أى يحق لك أن تمشى هكذا وقد كفرت بخالقك وبارئك ، وهذا على سبيل التهكم والتهديد ، والإنسان ليس يترك فى هذه الدنيا مهملاً لا يؤمر ولا ينهى ، ولا يترك فى قبره سدى لا بيعث ، بل هو مأمور منهى فى الدنيا ، محشور إلى الله فى الدار الآخرة ، وفى غير تعقيد ولا غموض يأتى بالدلائل الواقعة البسيطة التى تشهد بأن الإنسان لن يترك سدى ، إنها دلائل نشأته الأولى ؛ فما هذا الإنسان ؟ مم خلق ؟ وكيف كان ؟ وكيف صار ؟ وكيف قطع رحلته الكبيرة حتى جاء إلى هذا الكوكب ؟ فما كان الإنسان إلا نقطة ضعيفة من ماء مهين يراق فى الأرحام فصار علقه ، ثم مضغة ، ثم شكل ونفخ فيه الروح فصار خلقاً سوياً سليم الأعضاء ذكراً أو أنثى بإذن الله وتقديره ، والذى قدر هذا الخلق السوى من نقطة ضعيفة أليس بقادر على أن يعيده كما بدأه ؟! سبحانك ، فبلى .